الدور السياسي لمدينة البُشرات الأندلسية

في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي

دكتور حسام محمود المحلاوى

مدرس بكلية الآداب– جامعة دمياط

ملخص:

يتناول هذا البحث بالدراسة تاريخ مدينة البشرات الأندلسية فترة سقوط مملكة غرناطة نهائياً في قبضة الممالك المسيحية، وإماطة اللثام عن تاريخها السياسي وما لعبته من دور فعال في تلك الفترة وربط تاريخ المدينة قبيل السقوط بتاريخها المُشَرِّف بعد السقوط، ولدراسة المقومات الجغرافية والسياسية التي جعلت منها مركزاً لانطلاق الثورات في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

ويرصد البحث بعد التعريف بالمدينة وموقعها الجغرافي الدور الذي لعبته على مسرح الأحداث السياسية في الأندلس في تلك الفترة، من العمل بكل جد لنجدة المدن الإسلامية قبيل سقوطها وتم رصد ثلاثة أمثلة لوقفتها مع المدن الإسلامية، فقد حاولت إنقاذ بلش مالقة، وساعدت مدينة بسطة بكل قوة، علاوة على الدور الفعال أثناء حصار غرناطة العاصمة، كما تم رصد الثورة التي انطلقت في البشرات بعد سقوطها في قبضة قشتالة، والتي أعادتها إلى الدولة الإسلامية مرة أخرى، ثم سقوطها بعد ذلك نهائياً بعد استسلام غرناطة العاصمة في عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م .

Abstract

This paper examines the history of the city of Andalusia, the period of the fall of the Kingdom of Granada, finally in the grip of the Christian kingdoms, and unveil its political history and its active role in that period and linking the history of the city before the fall with its honorable history after the fall, and to study the geographical and political constituents that made it a center of departure Revolutions in the tenth century AH / 16th century AD.

The research, after the definition of the city and its geographical location, monitored the role it played on the political scene in Andalusia in that period, from working very hard to help the Islamic cities before its fall. Three examples of its stand with Islamic cities were monitored. In addition to the active role during the siege of Granada, the capital, was also monitored the revolution, which was launched in humans after falling in the grip of Castile, which returned it to the Islamic State again, and then fell definitively after the surrender of Granada, the capital in 897 AH / 1492 AD.

مدينة البُشرات إحدى مدن الجنوب الأندلسي، شكلت وأحوازها إقليماً معروفاً، وفاقت شهرتها كل البلاد الأندلسية بعد نهاية دولة الإسلام في الأندلس بسقوط غرناطة في عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، فقد فاقت شهرتها في التاريخ الحديث– وتحديداً في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي– المدن الإسبانية الأخرى، فقد كانت مهد الثورات، وحملت راية العصيان ضد ملوك إسبانيا، اعتراضاً على سوء معاملتهم، وإرغامهم على ترك دينهم .

ومع تلك الشهرة الواسعة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، لكونها المدينة صاحبة أقوى وأعظم الثورات ضد التمييز العرقي، والتشدد الديني لملوك أسبانيا، الذي انعكس على أوضاعهم، إلا أن تاريخها قبيل سقوط الأندلس لا زال يكتنفه الكثير من الغموض، فشهرتها بعد سقوط الأندلس فاق بكثير تاريخها السياسي والحضاري قبيل السقوط، فلم تحظ باهتمام الكثير من المؤرخين، ولا يكاد يصل ذكرها لسطور متناثرة على صفحات الكتب التاريخية والجغرافية على حد السواء، ربما لكونها كانت منطقة غير آهلة بالسكان لفترات طويلة، فهى لم تعرف تكدساً سوى مع مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بسبب نزوح الكثير من المسلمين إليها بعد سقوط مدنهم، أو لكونها منطقة جبلية وعرة، كانت ملاذاً آمنا لكل من لجأ إليها متحصناً من غارات القوى المسيحية.

وقد وقع الاختيار على تاريخ هذه المدينة في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، لربط تاريخ المدينة قبيل السقوط بتاريخها المُشَرِّف بعد السقوط، ولدراسة المقومات الجغرافية والسياسية التي جعلت منها مركزاً لانطلاق الثورات في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فهل كانت جغرافيتها وحصانتها سبباً في اندلاع الثورات منها، أم كونها جمعت مسلمين من بلاد عدة بعد سقوط مدنهم، وكانوا قد ذاقوا مرارة العيش تحت نير التمييز والعنصرية وسياسة الإذلال التي انتهجها الملوك الإسبان حتى قبيل سقوط مملكة غرناطة نهائياً فى عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م.

وعلى الرغم من أن مدينة البشرات من المدن الأندلسية الصغيرة والمغمورة فهى ليست كالمرية أو مالقة أو الجزيرة الخضراء أو غرناطة أو غيرها من المدن ذات الشهرة الواسعة، إلا أنها فجأة ظهرت على المسرح السياسي الأندلسي، لتعلب دوراً سياسياً مهماً بين كل المدن الأندلسية، وبخاصة في فترة السقوط، ربما لقربها من غرناطة العاصمة آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس، كما أنها كانت شاهداً علي سقوط المدن والحصون الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، وحاولت بكل قوة مساندة بعض المدن الإسلامية قبيل سقوطها في قبضة القوى المسيحية، مقدمة لها العون والمدد، إحساساً منها بمسئوليتها تجاه غيرها من المدن، ولأن أغلب سكانها ذاقوا مرارة الفرقة والتشريد قبل هجرتهم للبشرات بسقوط المدينة التي كان قد نشأ وتربى فيها.

وقد اقتضت دراسة الموضوع تقسيمه إلى عدة نقاط رئيسة :

أولاً : البشرات : الاسم والموقع

ثانياً: دور البشرات فى نجدة المدن الإسلامية قبيل سقوطها

ثالثاً : ثورة البشرات ٨٩٥هـ /١٤٩٠م

رابعاً: سقوط مدينة البشرات ٨٩٧هـ /١٤٩٢م .

وأنهى هذا البحث بفضل الله بخاتمة تضم أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى إتمام هذا البحث .

أولاً : البشرات: الاسم، والموقع الجغرافي :

البشرات Alpujarras مدينة مهمة من مدن الجنوب الأندلسى، ورد ذكرها كثيراً فى المصادر التاريخية فى الربع الأخير من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى، لما كان لها من دور فعال فترة سقوط بلاد الأندلس نهائياً فى قبضة القوى المسيحية الموحدة (مملكتي قشتالة وأراجون)[١]، كما سيتضح فى الصفحات التالية.

(١) كان عام ٨٧٤هـ /١٤٦٩م نقطة تحول كبرى لصالح القوى المسيحية فى شبه الجزيرة الأيبيرية، وذلك باتحاد مملكتى قشتالة وأراجون فى قوة مسيحية واحدة بزواج الأميرة إيزابيلا Esabel ولية=

وقد وردت فى المصادر التاريخية والجغرافية بمسميات عدة تدور كلها حول لفظ البشرات، فقد وردت باسم البشرات عند ابن سعيد المغربى ووضع فيها كتاباً أسماه ".. كتاب المَسَرَّات في عمل البُشرَات ..." (١). وذكرها أيضاً المؤرخ المجهول صاحب كتاب نبذة العصر باسم البشرات "... فبعث أهل وادي آش والبشرات إلي أمير غرناطة يستنصرونه..." (٢) . كما وردت باسم البشارات بالألف بعد الشين فقد ذكرها المؤرخ ابن الخطيب في الإحاطة بهذا الاسم "... ولى القضاء بمواضع من الأندلس كثيرة من البشارات أقام بها أعوامًا خمسة..." (٣)، وفى موضع آخر "... ولي القضاء

=العرش فى مملكة قشتالة،والأخت غير الشقيقة للملك هنرى الرابع من الأمير فرناندو Fernando ولى عرش مملكة أراجون وابن الملك خوان الاثانى ملك أراجون. وبعد وفاة الملك القشتالى هنرى الرابع فى عام ٨٧٨هـ /١٤٧٤م تولت الملكة إيزابيلا وزوجها حكم مملكة قشتالة، ثم انضمت إليها أراجون بعد أن ورث فرناندو الخامس العرش عن والده خوان الثانى بعد وفاته في عام ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م، وبذلك أصبحتا قوة واحدة مسلطة على رقاب المسلمين فى بلاد الأندلس. انظر: يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين– ترجمة محمد عبد الله عنان،القاهرة، ١٩٤٠م، ص ص ١٠-١١؛ عبد الواحد ذنون طه: تحالف الممالك الإسبانية فى الأندلس وأثره على سقوط غرناطة، مجلة البحث العلمى، المغرب، ع ٣٤، ١٩٨٤م ص ٧٠؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،، ١٩٩٧م، ص ١٨٥-١٩٥؛

Canning, J.:100 Great Kings, Queens and Rulers of the worled– New York,1988, p. 366-367

(١) ابن سعيد المغرب : المُغرب في حُلي المَغرب، تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ج٢ ، ص١٣١.

(٢) مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر(تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلي المغرب)، تحقيق، الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢م، ص٣٥-٣٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة –تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م، ج١، ص ١٦٤ .

بجهات من البشارات .." [١]، ووردت بذات الاسم عند المؤرخ شكيب أرسلان فى الحلل السندسية ".. ويتلو هذا الإقليم البشارات.."[٢].

كما وردت عند ابن الخطيب فى الإحاطة باسم الشَّارّات بدون حرف الباء "... وتحرك منها بعد الغد إلى الساحل فشق العِمامة الآمنة من الإقليم والشارات.."[٣] .

كما وردت في بعض المصادر باسم البَشرة، فقد ذكرها المقري بهذا الاسم "..يوجد في ناحية دلاية من إقليم البشرة ...." [٤]. وذكرها المؤرخ المجهول صاحب كتاب نبذة العصر بذات الاسم "... وقطع الطريق من البشرة فقل الطعام عند ذلك في أسواق المسلمين في غرناطة.." [٥]وفى موضع آخر "... وأن الطريق الذي كانت يأتيهم عليها الطعام والفواكه من البشرة انقطعت ..". [٦]

كما وردت باسم البشرة مقرونة باسم آخر فقد ذكرها ابن الخطيب في اللمحة البدرية باسم بشرة بني حسان "... وإقليم بشرة بني حسَّان..... وهو معدن من معادن الحرير .." [٧]، ووردت عند المقري باسم بشرة غرناطة "... ومن غرائب الأندلس أن به شجرتين من شجر القسطل ،وهما عظيمتان جداً إحداهما بسند وادي آش والأخري ببَشرة غرناطة ...." [٨].

ويبدو واضحاً ارتباط الاسم بالطبيعة الجغرافية، فالبشارات تشير إلى الهضاب والمرتفعات، وهذه الكلمة محرفة من كلمة Sierras اللاتينية وتعنى الجبال الوعرة، فهى فى

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص ٣٠٦.

(٢) شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار كلمات ، القاهرة ، د.ت، ج١ ، ص٧٥

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص ١١١.

(٤) المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت،١٩٦٨، ج١، ص١٤٠-١٤١ .

(٥) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٩-٤٠ .

(٦) مجهول : نبذة العصر، ص٤١ .

(٧) ابن الخطيب : اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية ، تحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت ، ٢٠٠٩م، ص٥٢ .

(٨) المقري : نفح الطيب ، ج١ ، ص١٥٠ .

مجملها منطقة جبلية تتخللها التلال الصلدة ، والأخاديد العميقة، فى منطقة جبلية واقعة جنوب سفح جبل شلير أو جبل الثلج Sirra Nevada [١]، وعلي مقربة من البحر المتوسط، ويبلغ طول هذه المنطقة نحو تسعة عشر ميلاً ، وعرضها نحو أحد عشر ميلاً.[٢]

ولهذه الطبيعة الوعرة فضل المسلمون المدجنون Los Mudéjares [٣] الهجرة إليها بعد سقوط مدنهم فى قبضة مملكتى قشتالة وأراجون، وربما كان هذا هو السبب أيضاً فى هجرة المسلمين إليها بعد سقوط غرناطة، نظراً لصعوبة الوصول إليها، مع سهولة تحصينها، علاوة على الحصانة التى منحها لها الله بهذا الموقع المحصن طبيعياً[٤].

ووقد شكلت البشرات وأحوازها وبعض القرى والحصون القريبة منها إقليماً ضم عدداً من البلدان التابعة له، ولطبيعته الجغرافية كانت تتبعه عدداً كبيراً من الحصون، أهمها حسبما ذكر ابن

---

(١) جبل شيلر أو جبل الثلج وهو جبل سيرا نيفادا Sirra Nevada وهو تحريف للاسم اللاتينى القديم Solorius أى جبل الشمس، وذلك لشدة لمعاناة نتيجة لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج الناصعة صيفًا وشتاءً ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ مترًا . ويقع فى الجهة القبلية من مدينة غرناطة . انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية،تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت ص٩٦ ؛ الحميرى : الروض المعطار فى خبر الأقطار –تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٤م ص ص ٣٤٣–٣٤٤..

(٢) عبد الواحد ذنون طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار المدار الإسلامي، بيروت ،٢٠٠٤م، ص٢٧.

(٣) أطلق المسلمون لفظ المدجن على كل مسلم أقام فى أراضى خاضعة لحكم الممالك المسيحية، ومعناه الخضوع، وقد حرف أهالى مملكة قشتالة لفظ مدجن إلى مدجل أو مدجر، ثم انتقل إلى الرومانسية الدارجة Mudéjar . أما فى مملكة أراجون فقد أطلق عليهم قبل القرن التاسع الهجرى / الخامس عسر الميلادى اسم سارهيم Sarrahim . أو لفظ سارينز Sarrins كما أطلق عليهم البعض فى أراجون اسم مسلمو السلام Moro de Paz . كما عرفوا ب مورو Moro أى المسلم . وهذا اللفظ سابق للفظ الموريسكيين Moriscos الذى أطلق على المسلمين من مملكة غرناطة الذين خضعوا للتاج القشتالى فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى . وبعد سقوط مملكة غرناطة عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م عمم هذا اللفظ على المسلمين فى بلاد الأندلس أجمعين. انظر : مرثيديس غارثيا أرينال : شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون) –ترجمة محمود فكرى عبد السميع، القاهرة،٢٠٠٦م، ص ص٧١–٧٢.

(٤) ابن الخطيب:اللمحة البدرية، ص٥٢؛ عبد الواحد ذنون طه: حركة المقاومة العربية الإسلامية، ص٢٧.

سعيد حصن الْعقَاب، وحصن بلور، ومن أشهر قراها قَرْيَة ركونة [١]، وذكر ابن الخطيب أيضاً عدداً من الحصون أهمها حصن بَرجة والعذراء والقُليعة ، وحصن شبالش، وبلدة دلاية [٢].

وعلى الرغم من الطبيعة الجغرافية الوعرة للبشرات على النحو سالف الذكر، إلا أنها اشتهرت برقعتها الخصبة وحدائقها اليانعة، فعلى الرغم من ازدياد عدد السكان بها فى أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي لكثرة الهجرة إليها، إلا أنها كانت غنية من الناحية الاقتصادية لدرجة تكفل لهم الحياة بهذه المنطقة من ناحية، ومساعدة المناطق القريبة منها من ناحية أخرى، وبخاصة في أوقات الحصار [٣]، كما سيتضح في الصفحات التالية.

كما ذكر المؤرخ ابن الخطيب أن بالبشرات ".. عمران عظيم وهو معدن من معادن الحرير .." [٤] . كما ذكر المقري في نفح الطيب ما يدلل على ذلك أيضاً، من رخائها وازدهارها والخير الذي اتسم به أهلها، وظهر وقت الشدة بالنسبة لجيرانها [٥].

والمؤرخ المجهول صاحب الرواية الإسلامية الوحيدة عن سقوط مملكة غرناطة، يذكر أن وقت حصار غرناطة كان أهل البشرات يمدونها بخيرات كثيرة من مزروعاتها وأهمها القمح والذرة والشعير والزيت والزبيب [٦]، وهو ما يدلل بصورة قوية على ازدهار البشرات من الناحية الاقتصادية .

كما عملت الطبيعة الجغرافية لإقليم البشرات على انتشار حرفة الرعى وتربية الحيوانات، وهو ما ساعد كثيراً في كثرة مساعداتها لجيرانها في أوقات الحصار، وكانت مرتفعات المملكة وغاباتها تذخر بالحيوانات المختلفة التي كانت هدفاً للصيد،

---

(١) ابن سعيد المغرب : المُغرب في حُلي المَغرب، ص١٣١.
(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٥٢.
(٣) مجهول : نبذة العصر، ص٣٩.
(٤) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص٥٢.
(٥) المقري : نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥٢٤-٥٢٥.
(٦) مجهول : نبذة العصر، ص٣٩ .

ويذكر الدكتور أحمد محمد الطوخى أنه في عام٨٩٩هـ/١٤٩٤م دهش الرحالة خيرونيمو مونز في زيارته للبشرات من كثرة الحيوانات التي صيدت مثل الدببة، والخنازير الجبلية، والوعول ، والظباء من المناطق الجبلية فيها(١).

ويتضح مما سبق أن الطبيعة الجغرافية لإقليم البشرات تدخلت بشكل مباشر فى دورها السياسي، حيث كانت الطبيعة الوعرة السبب المباشر في فرار المسلمين إليها من بطش القوى المسيحية بعد نجاحها في الاستيلاء على مدنهم وهو ما شكل ملاذاً آمناً لهم، حيث تحصينه الطبيعي، وسهولة تحصينه بتشييد الحصون على مرتفاعته، علاوة على كثرة سكانه فى تلك الفترة، كما أن كثرة خيراته ومراعيه كانت ذات أثر أيضاً .

ثانياً: دور أهل البشرات في الفتنة الأهلية فى غرناطة ٨٩١-٨٩٢هـ /١٤٨٦-١٤٨٧م .

تجلى دور البشرات السياسى بصورة كبيرة فترة سقوط غرناطة، وتحديداً في السنوات الأخيرة من عمر دولة الإسلام في الأندلس، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ كيف ظهرت هذه المدينة وأحوازها فجأة على المسرح السياسى وتحولت من دور التابع لدور الزعامة في فترة كان الأندلسيون يعيشون الفترة العصيبة من تاريخهم، وهى فترة سقوط دولتهم نهائياً بعد أن استمرت ثمانية قرون كاملة ؟

وللإجابة على هذا التساؤل يجب النظر بدقة فى الخريطة السياسية لدولة الإسلام في بلاد الأندلس في تلك الفترة، فقد دارت الدائرة عليهم فى فترة وجيزة، وأصبح مصيرهم في قبضة عدوهم، وبدأت تظهر شخصيات للأسف الشديد تتعاون مع النصارى ضد المسلمين بقصد أو بغير قصد، وزاد التشكيك بينهم، ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع الإسلامي المسيحي في بلاد الأندلس، وهى مرحلة لفظ الأنفاس الأخيرة بالنسبة للمسلمين .

والحقيقة أن هذه المرحلة كانت قد بدأت مبكراً بعد هزيمة الموحدين فى موقعة

(١) أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، ١٩٩٧م، ص١٢٧ .

العقاب فى عام ٦٠٩هـ /١٢١٢م،Las Navas de Tolosa [١] وما ترتب عليه من كثرة سقوط المدن الأندلسية في قبضة الممالك المسيحية والتوسع على حساب المسلمين، وعلى الرغم من أن مملكة غرناطة التي قامت لتوحيد الجبهة الإسلامية ضد القوى المسيحية ظلت تطاحن زهاء قرنين ونصف القرن وسط هذه الممالك، إلا أنها في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كانت قد كتبت شهادة وفاتها بنفسها بعد أن استشرى الضعف في جسدها، واحتدم الصراع داخل البيت الحاكم، وارتضى البعض منهم مهادنة القوى المسيحية، بل والاستعانة بها ضد البلدان الإسلامية، كما سيتضح فى الصفحات التالية .

ومع سقوط المدن الأندلسية الكبرى بدأ المسلمون فى البحث عن ملاذ آمن، يتحصنون به، بل ويمكن أن يتخذونها قاعدة لهم لنجدة إخوانهم إذا ما اقتضت الحاجة، ووقعت أعين أغلبهم على منطقة البشرات الجبلية، التي وهبها الله تحصيناً طبيعياً يكفل لهم حمايتهم، علاوة على قربها من العاصمة غرناطة، فقرروا أن تكون هي قاعدتهم الجديدة، ومن هنا بدأت البشرات تلعب الدور المحوري في تاريخ تلك الفترة.

وكان أولى المواقف السياسية لأهالي البشرات، ذلك الدور الذى لعبته في أثناء الفتنة الأهلية في غرناطة، والتي تحولت لحرب طاحنة،أنهكت المملكة، وأنهكت قواها، واستنفذتها في حرب داخلية بدلاً من أن تثتثمرها في رد العدوان القشتالى على

(١) معركة العقاب Las Navas de Tolosa: سميت بذلك نسبة إلى قرية العقاب التى تقع بين جيان وقلعة رباح وعلى أرضها دارت المعركة بين الجانبين. الإسلامى بقيادة سلطانهم محمد الناصر، والمسيحى تتزعمه قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن Alfanso VIII، وضم أيضًا قوات من أراجون والبرتغال ونافار – التى تقع فى الشمال من مملكتى قشتالة وأراجون– وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. وللمزيد عن معركة العقاب انظر: عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب –تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤م،ص٢٦٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب فى اختصار ملوك الأندلس والمغرب– تحقيق اميروس هويثى ميرانده، محمد بن تاويت، الرباط، ١٩٦٢، جـ٣، ص ص ٣٤٠–٣٤٣؛ صبحى عبد المجيد إدريس: عصر الخليفة الناصر الموحدى فى المغرب والأندلس– رسالة دكتوراة، آداب طنطا، ١٩٩٩م، ص ١٥٨–١٦٠.

أراضيها، تلك الحرب التي دارت بين السلطان أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن على الملقب بالصغير [١](٨٨٧-٨٩٧هـ /١٤٨٢-١٤٩٢م)، وبين عمه أبو عبد الله محمد بن سعد الملقب بالزغل[٢] .

فبعد أن وقع السلطان أبو عبد الله محمد الصغير أسيراً في قبضة مملكة قشتالة في موقعة اللسانة Lucena [٣]عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٢م،أحد المعارك التي درات بين مملكتي غرناطة وقشتالة، واستدعى أهل غرناطة السلطان أبا الحسن على بن سعد، ليتولى الحكم بعد أسر ولده محمد، لكنه كان فقد بصره، فتنازل لأخيه أبى عبد الله محمد الزغل، وظل سلطاناً للمملكة فترة أسر السلطان أبى عبد الله محمد الصغير[٤].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن السلطان أبى الحسن على من ابنة عمه عائشة، ورغم أنه كان المرشح بعد والده لحكم غرناطة إلا أن زوجة أبيه ثريا أو كوكب الصباح التى يرجع أصلها إلى الأصل الإسبانى، جعلت السلطان يعزل ابنه محمد عن ولاية العهد، وقبض عليه هو وأخيه ووالدتهما عائشة وسجنهم فى الحمراء، وتمكنا من الفرار إلى وادى آش، واندلعت ثورة عارمة ضد السلطان أبى الحسن فى غرناطة انتهت بجلوس أبو عبد الله الصغير على عرش المملكة، وهو في الخامسة والعشرين من عمره . وتطلق عليه المصادر والمراجع الأوربية اسم Boadil . ويعرف أيضاً بالصغير ElRey Chico، ويلقب أيضاً بالزغيبى، ومعناها المنكوب أو التعس الصغير. انظر: مجهول: نبذة العصر، ص ص ١٨؛ المقرى : نفخ الطيب، جـ٦، ص٢٦٢؛ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب و الأندلس،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،١٩٦٨م، ص ٤٦٣-٤٦٤؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة،مجلة أدب ونقد، القاهرة، عدد ٨٨، مجلد ٩، ديسمبر ١٩٩٢م، ص ٥٠-٥٥.

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil- (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. VII, 1947), pp. 369-370.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص ١٨ ؛ أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦

(٣) أرض اللسانة Lucena : قلعة هامة فى غرب الأندلس فى الشمال الغربى من غرناطة، ومجاورة لحصن قبرة. وعلى مقربة من قلعة يحصب . انظر : ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة –تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م، جـ١،١١١،ص١١١ ح ٣؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٠٣.

(٤) مجهول: نبذة العصر، ص ١٨؛ أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م، ص٥٥١؛ محمد عبده حتاملة: محنة مسلمى الأندلس عشية سقوط غرناطة وما=

إلا أنه بعد إطلاق سراحه من الأسر والاتفاق مع الممالك المسيحية بالوقوف فى وجه عمه الزغل، وشجعوه على ضرورة انتزاع وادى آش وأحوازها من عمه، دارت رحى الحرب الأهلية بين الطرفين، ومدت قشتالة يد العون للسلطان أبى عبد الله محمد الصغير فى صراعه ضد عمه أبى عبد الله محمد الزغل، واستمرت الحرب لمدة شهرين من ربيع الأول عام ٨٩١هـ/ مارس ١٤٨٦م وحتى جمادى الأولى من نفس العام، وتم الاتفاق بين الجانبين على دخول أبى عبد الله الصغير في طاعة عمه الزغل. (١)

ولم يدم هذا الصلح طويلاً، واندلعت الحرب بين الجانبين من جديد بعد وقوع السلطان الصغير في الأسر للمرة الثانية في جمادى الأولى من عام ٨٩١هـ / مايو ١٤٨٦م(٢)، ثم اطلاق سراحه من قبل مملكة قشتالة في شوال من العام نفسه، وتم الاتفاق معه على مهاجمة الأراضى الواقعة تحت سيطرة عمه الزغل، ومدوه بالرجال والسلاح للوقوف في وجه عمه الزغل، وبدأ أبو عبد الله الصغير يردد ضرورة عقد الصلح مع القوى المسيحية وأنهم لا قبل لهم بمواجهتهم، فأطاعه أهل ربض البيازين

=بعدها، دار الشعب، عمان، الأردن، ١٩٧٧م، ص ٣٥-٣٦؛ أسعد حومد: محنة العرب فى الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،، بيروت،١٩٨٨م، ص ١٣٤-١٣٥؛

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil , 372; Rachel Arie, :El Reino Nasri . de Granada (1232-1492) – Madrid, 1992, pp.88-89

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ١٨ ؛ المقرى، نفح الطيب ج٤، ص٥١٩، ج٦، ص٢١٣ ؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦ ؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى، ص٥٥١ ؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص٦٢؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة، ص ٥٢-٥٣؛

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil,p.373-375.

(٢) كان توقيع الصلح بين السلطان أبى عبد الله محمد الصغير وعمه أبى عبد الله محمد الزغل فى مدينة لوشة المحاصرة من قبل قوات الملك فرناندو الخامس ، والذى تمكن من دخولها فى جمادى الأولى لعام ٨٩١هـ/ مايو ١٤٨٦م، وتمكن كذلك من أسر السلطان الصغير للمرة الثانية . انظر : مجهول : نبذة العصر، ص ١٧؛ المقرى، نفح الطيب ج٤، ص٥١٧؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦؛

Luis Seco de Lucena: La Sultana Madre de Boabdil,p.373-375.

Albaicin[١] وبعض الحصون الشرقية، بعد أن أقنعهم بالصلح مع النصارى، وتمكن من دخول ربض البيازين سراً في١٣شوال ٨٩١هـ/١١ أكتوبر ١٤٨٦م، وبايعوه سلطاناً للمملكة علي حين غفلة من أميرها محمد بن سعد المعروف بالزغل ، ودارت رحى الحرب الأهلية فى غرناطة للمرة الثانية[٢].

وما يهمنا هنا دور أهل البشرات كقوة اعتمد عليها أبو عبد الله محمد الزغل فى حربه ضد ابن أخيه أى عبد الله محمد الصغير فعندما عزم أبو عبد الله محمد الزغل دخول البيازين عنوة بالسيف ومارية قوات ابن أخيه فى ٨٩٢هـ/١٤٨٧م أرسل الزغل لجميع الأقطار التابعة له، بضرورة القدوم لغرناطة لشن الحرب على البيازين، فآتته الوفود من أهل بسطة وأهل وادي آش ومن حولهم من البشرات للتصدى لمخطط النصارى بتقسيم غرناطة [٣] .

وكان المبرر لأهل وادى آش والبشرات والمناطق المجاورة المشاركة فى الحرب ضد أبى عبد الله محمد، وأهل ربض البيازين أن أبا عبد الله محمد الصغير، كان قد دخل من وجهة نظرهم فى طاعة النصارى، وحاول اقناع بلاد أندلسية كثيرة بعقد الصلح مع النصارى والتخلى عن مبدأ الجهاد، وانتشر ذلك الخبر كالنار فى

(١) ربض البيازين أحد أشهر الأحياء الملاصقة لمدينة غرناطة العاصمة، وهو أشبه ما يكون بمدينة ملاصقة لمدينة غرناطة، لكثرة العمران فيه، وكثرة سكانه، ففى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى كان يعج بالسكان، وكان مزدحماً للغاية، فقد كانت أعداد كبيرة ممن كانت تسقط مدنهم تهاجر إليه، وله ثلاثة أبواب كبيرة ومشهورة . انظر: يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ١٧٨.

(٢) مجهول : نبذة العصر ، ص١٩–٢٠ ؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ص٥١٦–٥١٨ ؛ محمد عبد الله عنان: أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة، ص ٥٣–٥٥؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو سراج وزراء بنى نصر بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية –ضمن بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٩٧م، جـ١، ص٤٥٧ .

(٣) مجهول : نبذة العصر، ص٢١؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ٥١٩؛
Jose Conde , History of dominion of the Arabs in Spain ,London ,1954 , P.86.

الهشيم، فأصبح من وجهة نظرهم يستوجب الحرب لخيانته، وهنا كانت انتفاضتهم ضد جيش ربض البيازين بزعامة أبى عبد الله محمد الصغير. (١) وليس ثمة دليل على موالاة السلطان الصغير لقشتالة من أن".... العدو دمره الله أمد أمير البيازين بالرجال والأنفاط والبارود والقمح والعلف والبهائم والذهب والفضة وغير ذلك ليشد به عضد الفتنة ويقوى الشر ..." (٢)

وكان حتماً على الجهات التابعة للزغل والمناصرة له الوقوف ضد مخطط النصارى بإزكائهم الحرب الأهلية فى غرناطة ومساندة الصغير ضد عمه الزغل، الذى هو من وجهة نظرهم السلطان الشرعى للبلاد.

ثالثا: : دور البشرات فى نجدة المدن الإسلامية:

يحسب لمدينة البشرات وأحوازها الدور الذى لعبوه لنجدة المدن الإسلامية قبيل وقوعها فى قبضة القوى المسيحية، إذ أن البشرات كانت الملاذ والعون والمدد لعدد من المدن الإسلامية غداة سقوطها، ولم تبخل بجهد أو عون على كل من طلب نجدتها،أو حتى رأت أنه فى حاجة لنجدتها دون طلب ذلك من أهلها.

والحقيقة أن إحساس أهل البشرات بالمسئولية الدينية والوطنية تجاه المدن الإسلامية فترة السقوط يمكن القول أنه إحساس فريد، نابع من إحساسهم بما أذاقوه من هول الطرد من بلادهم بعد سقوطها، لذا لعبوا الدور الفعال فى تلك الفترة.

- محاولة إنقاذ بلش مالقة Vélez málaga (٣) ٨٩٢هـ/١٤٨٧م:

(١) مجهول : نبذة العصر، ص٢٠؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ٥١٩؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، مجلة الأكاديمية، المغرب، ع ٢٤، ٢٠٠٧م، ص ٦٠-٦١.

(٢) مجهول : نبذة العصر، ص٢١.

(٣) مدينة بلش مالقة Velez Malaga: أطلق عليها بليش، وهو تحريف الكلمة اللاتينية Vallis بمعنى وادي. يطلق عليها الآن بلش Velez، وتقع في غرب مالقة بنحو ٣٤ كم . ونظراً لأن بلش يطلق على أماكن أندلسية عديدة ، فقد سميت بلش مالقة Velez Malaga، وذلك=

كانت أولى المدن التي سعت البشرات لنجدتها مدينة بلش مالقة ففى أثناء الفتنة الداخلية واشتعال الحرب الأهلية فى غرناطة بين الزغل وابن أخيه الصغير، بدأت القوى المسيحية الموحدة تحت زعامة قشتالة فى استغلال هذه الأوضاع لصالحها، وشن الغارات المباغتة على البلدان الإسلامية بقصد الاستيلاء عليها، فعندما وصل أبو عبد الله الزغل إلى ربض البيازين لشن الحرب للقاء قوات ابن أخيه الصغير كما سبق ذكره، وصلته أنباء عن اتجاه القوات القشتالية بقيادة ملكها فرناندوا الخامس إلى مدينة بلش مالقة، وذلك أواخر ربيع الثاني سنة ٨٩٢هـ/ أبريل ١٤٨٧م[١].

وهنا اتخذ الزغل قراره بضرورة التوجه بقواته المحاربة فى غرناطة لإنقاذ المدينة التى استجارت به كسلطاناً للمملكة، وكان جيشه أغلبه من البشرات ونواحى وادى آش، وعلى الرغم من ذلك نادى بالجهاد، وتجمعت جموعاً أخرى من تلك

=لقربها من مالقة، ويوجد كذلك بلش لورقة Velez Lurca وهي بجوار مدينة لورقة . انظر: ابن بطوطة: تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٦٤م، جـ٢، ص١٨٧؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٢١٥؛

Simonet: (Francisco Jovier):Descripcion de Reino de Granada Bajo La Dominacion de los Naseritas – Madrid, 1860, pp. 193.

(١) مجهول : نبذة العصر ، ص ٢٥ ؛ المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩؛ شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، ص ٢١٥؛

Jose Conde , History of dominion of the Arabs in Spain,p.87; Arie, R.: El Reino Nasri, p. 94.

النواحى فى انتظار توجه القوات لإغاثة بلش مالقة [١]، وبالفعل خرج من غرناطة تاركاً بعض الجند يقاتلون ابن أخيه في حي البيازين [٢] .

وتوحدت جيوش السلطنة تحت قيادة الزغل و".. أتى أهل وادى آش وغيرها وجموع البشرات..." [٣] ومناطق أخرى، واتجه فى طريقه لإنقاذ المدينة، ولما وصل إلى منطقة قريبة منها، وجد الملك فرناندو قد فرض حصاره على المدينة وشدده، ثم وصل الزغل خبر استيلاء النصارى عليها وهو فى طريقه لنجدتها في١٠جمادى الأولى سنة ٨٩٢ هـ / ٣ مايو ١٤٨٧ م [٤].

وبذلك سقطت مدينة بلش مالقة فى قبضة القشتاليين،وهنا قرر الزغل أن يتجه بجيشه كاملاً إلى مدينة غرناطة لمؤازرة جيشه الذى تركه يقاتل ابن أخيه، ولكنه وهو فى طريقه إليها وصلته أنباء انتصار ابن أخيه وإحكام سيطرته على غرناطة كاملة ودخوله الحمراء، وجلوسه على العرش مكانه، فاتجه الزغل بجيشه إلي مدينة البشرات، ثم قصد مدينة وادي آش ليقيم فيها .[٥]

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٢–٢٣ ؛ المقرى، نفح الطيب ج٤، ص٥١٩، ج٦، ص٢١٣ ؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٦ ؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي، ص٥٥١ ؛ يوسف شكرى فرحات : غرناطة في ظل بني الاحمر، ص٦٢ .

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٢–٢٣ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص ٦١.

(٣) المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩–٥٢٠.

(٤) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٣–٢٤؛ المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩–٥٢٠؛ سحر سالم: بنو سراج، ص٤٥٧؛

Pulgar: (Fernando): Guerra de Granada – en Colecion de Cronicas Espanolas, edicion de Juan de Mata Carriazo, Madrid, 1940-1964., pp.270-272. .

(٥) مجهول : نبذة العصر ، ص ٢٣؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩ –٥٢٠؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص٢٤١؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

خلاصة القول شاركت البشرات وأحوازها مع وادى آش وأحوازها فى نصرة المسلمين فى مدينة بلش مالقة، ولم تتوان تلك الجهات فى القيام بدورها والتوجه بعشرات الآلاف للانضمام لجيش السلطان الزغل، لرد العدوان القشتالى عن المدينة، إلا أنه كان قد سبق عليها الكتاب فدخلها النصارى.

– مساندة مدينة بسطة Baza[١] ضد قوات قشتالة ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م:

أما المدينة الثانية التى حاول أهل البشرات إنقاذها قبيل سقوطها كانت مدينة بسطة Baza، وكانت استكمالاً لمخطط مملكة قشتالة بالعمل على انتزاع البلدان الإسلامية الخاضعة للسلطان أبى عبد الله محمد الزغل، لأنها أماكن التمرد والعصيان بالنسبة للقوى المسيحية، أما تلك المناطق التى تتبع لسيطرة أبى عبد الله محمد الصغير فهى مناطق مضمونة بالنسبة لهم[٢]، وهو ما يدلل على فكرة المؤامرة . ووصلت القوات إلى مدينة بسطة فى شهر رجب سنة ٨٩٤هـ / يونية ١٤٨٩م[٣] .

ومما يهمنا هنا هو دور البشرات وأحوازها فى تلك الأحداث، فقد نادى المسلمون بالجهاد لإنقاذها من قبضة النصارى، وتجمعت أعداد كبيرة من البشرات وتوجه بعضهم إلى مدينة بسطة متطوعاً للجهاد، والبعض انتظر أمر السلطان أبى عبد الله محمد الزغل[٤] .

---

(١) مدينة بسطة Baza : مدينة أندلسية تقع بالقرب من وادى آش . تتبع كورة جيان وهى قريبة منها أيضًا. مشهورة بكثرة البساتين بها. انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ١١٣-١١٤.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٥١٩ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

(٣) مجهول : أخبار العصر، ص٢٥ ؛

Jose Conde , History of dominion of the Arabs in Spain,p.88 ;Arie, R.: El Reino Nasri, p. 98.

(٤) المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٢٥؛ L.P. Harvey: Islamic Spain1250-1500-London, 1990., p. 30

وتجمعت جموع كبيرة من "... أهل نجدة تلك البلاد من وادى آش والمرية والمنكب والبشرات ..." [١] ومما ساعد فى سهولة وصول المتطوعة للجهاد والدفاع عن بسطة هو عدم تمكن القوات المسيحية من الوصول لأسوار المدينة لضرب الحصار عليها وعسكرت فى منطقة قريبة من المدينة فى وسط المزارع الخضراء[٢].

أما ما يتعلق بالجيش الغرناطى النظامى والمتمثل فى قوات الزغل [٣]، فقد فضل السلطان أبو عبد الله محمد الزغل ألا يتجه بنفسه على رأس الجيش وفوض نائباً عنه، وبرر ذلك بخوفه من انقضاض ابن أخيه على وادى آش وضمها لغرناطة مستغلاً غياب عمه عنها[٤] .

وسجل المتطوعة ممن وصلوا إلى المدينة وجيش الزغل الذى أرسله قوة ضاربة بعد وصولهم للمدينة، وسجلوا بطولات وانتصارات، استمرت لثلاثة أشهر لم يمكنوا خلالها عدوهم من نصب آلات الحصار، ويصور المؤرخ المجهول صاحب نبذة العصر بطولة المجاهدين المناصرين لبسطة بقوله".. فكلما أراد الدنو من البلد قمعوه وردوه على عقبه خاسراً، ولم يقدر على نصب نفط ولا عدة من آلة الحرب..." [٥].

وعلى الرغم من بأس المقاومة تمكن الملك فرناندو من بناء سور من الخشب حول المدينة، إلا أن المجاهدين من المسلمين ظلوا يشتبكون معهم لثلاثة أشهر وهم تحت نير الحصار.[٦]

---

(١) المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢١؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.
(٢) مجهول : نبذة العصر، ص٢٥؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢١؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٢٥؛ .
(٣) مجهول : نبذة العصر ، ص ص٢٥–٢٦ ؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١– ٥٢٢ ؛ محمد عنان : نهاية الأندلس ، ص٢٢٥ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، صؤ ٦١–٦٢.
(٤) مجهول : نبذة العصر ، ص ص٢٥–٢٦ ؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١– ٥٢٢ ؛ محمد عنان : نهاية الأندلس ، ص٢٢٥ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص ٦١–٦٢.
(٥) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٦ .
(٦) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٦؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢١–٥٢٢.

كما تجلى دور المجاهدين من وادى آش والبشرات بجلب الطعام لأهل بسطة المحاصرين، وكان ذلك فى استمرارهم فى المقاومة رغم الحصار المفروض عليهم [١].

إلا أنه بدخول الشتاء وتمكن فرناندوا من غلق مداخل ومنافذ المدينة ساءت أحوالهم، فقرروا تسليمها للملك فرناندو مقابل أن يأمنهم على أنفسهم وأموالهم، فقبل ذلك، وغادروها إلى وادى آش فى ١٠ محرم سنة ٨٩٥هـ / ٧ ديسمبر ١٤٨٩م [٢].

وهكذا تجلى دور المدن الإسلامية فى المنطقة الشرقية من مملكة غرناطة فى الجهاد نظاميين ومتطوعة، وليس ثمة دليل على ما قدموه من مساعدة أرهقت جيش الملك فرناندوا كثيراً فى دخول المدينة مما ورد من أنه اشترط عند تسليم المدينة منح الأمان لأهل بسطة دونما منحه للمتطوعة من أهل وادى آش والبشرات والمرية والمنكب، إلا أن أهل بسطة رفضوا ذلك[٣]، وهو ما يؤكد دورهم الحيوي فى فترة حصار المدينة.

- **مساعدة أهل مدينة غرناطة فترة الحصار ٨٩٦هـ /١٤٩١م :**

أما الدور الثالث لإقليم البشرات فى مساعدة المدن الإسلامية قبيل سقوطها فى قبضة النصارى فيتعلق هذه المرة بالعاصمة غرناطة، وهو الدور المحورى لإقليم البشرات فى تلك الفترة، والذى يتجلى فى المساعدة وتقديم العون والمدد فى أبهى صوره.

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٢٦؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص ٦١-٦٢.

(٢) مجهول :نبذة العصر، ص ٢٦؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص ص٥٢١ -٥٢٢؛ ج.س. كولان: الأندلس الأندلس – ترجمة لجنة دائرة المعرف الإسلامية (إبراهيم خورشيد وآخرون)، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٣٩؛

Pulgar, F: Guerra de Granada., p. 409; Harvey, L. P :Islamic Spain1250-1500., p. 302.

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٦.

وتعود أحداث هذه المساعدة إلى فترة سقوط مدينة غرناطة العاصمة، فكان الملك فرناندوا والملكة إيزابيلا قد قررا شن حملة واسعة النطاق على مدينة غرناطة بقصد الاستيلاء عليها نهائياً، وفى ١٢ جمادى الآخرة سنة ٨٩٦هـ/ ٢٣ أبريل ١٤٩١ م ، وصلت القوات إلى فحص غرناطة،، وكانت الحملة مزودة بعدد كبير من المدافع، نصبت كلها حول غرناطة،، وفرضت الحصار ،واستعدت لضرب الأسوار [١].

ولما ضرب الحصار على مدينة غرناطة، وكان حصاراً أقل ما يقال عنه أنه محكماً، لم يكن لهم نصيرٌ سوى الله والبشرات وأحوازها أقرب بلاد الأندلس إلى غرناطة العاصمة ، وعلى الرغم من وعورة الطرق والمناطق الجبلية تدفقت الإمدادات والمساعدات من البشرات لأهل غرناطة، فكانت رجالاً للجهاد، عتاد، وأسلحة، وأطعمة،"... من القمح والشعير والذرة والزيت والزبيب وغير ذلك من الفواكه والسلع..." [٢] وهو ما ساعد فى صمودها أما الحصار الشديد المفروض عليها [٣]

ولما رأى فرناندوا صمود أهل غرناطة أمام الحصار ،رأى وقادته أن يزيد فى تشديد الحصار فأمر بتشييد سور كبير حول مناطق عديدة من غرناطة[٤]. كما رابطت السفن القشتالية والأراجونية في مضيق جبل طارق لفرض الحصار البحرى، حتى تحول دون وصول أية إمدادات لغرناطة من الخارج [٥].

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٧–٣٨؛ المقري: نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢٤-٥٢٥؛ عبد الحميد العبادى: المجمل فى تاريخ الأندلس– القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٩٥؛ مونتغمرى وات: فى تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة د. محمد رضا المصرى – لبنان، ١٩٩٥م، ص١٥٩ ؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p. 103.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٩ .

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٩–٤٠ ؛ المقري : نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ عبد الحميد العبادى: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص١٩٥؛ شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس ، ص٢٦١؛ جمعة شيحة: صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسى – الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة –تونس ، ١٩٩٣، ج٢، ص١٢٤ .

(٤) مجهول : نبذة العصر، ص٤٠؛ المقري : نفح الطيب: ،ج٤ ، ص٥٢٤–٥٢٥؛

(٥) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص ٢٢٥–٢٣٠ ؛

أما الطرق البرية فقد شدد أيضاً على قطعها عن غرناطة، ولم يبق سوى طريق البشرات فقط من ناحية جبل شيلر لجلب الأقوات من إقليم البشرات إلى غرناطة (١)

كما يتجلى دور البشرات فترة حصار غرناطة فى نزوح الكثير من أهل غرناطة إلي قرى البشرات لما أصابهم من الجوع والخوف فترة الحصار، فتسجل الرواية الإسلامية الوحيدة لأحداث تلك الفترة أن المسلمين فى غرناطة كان قد تمكن الجوع والخوف منهم فترة الحصار بعد أن طالت، وفضل الكثيرين منهم ترك المدينة، ولم يكن أمامهم سوى طريق البشرات عبر جبل شيلر، على الرغم من وعورته، إلا أنه هو الطريق الوحيد للبشرات(٢).

ومع استمرار الحصار حول غرناطة، واستمرار تدفق الخيرات من البشرات عبر جبل شيلر صمد المسلمون أمام الحصار، ويتجلى دور البشرات فترة الحصار فى استمرارية الإمداد طوال مدة الحصار، فلما تم قطع طريق البشرات فى شهر المحرم ٨٩٧هـ/ نوفمبر ١٤٩١م، لدخول فصل الشتاء، وقطع الطريق بسبب نزول الثلج على الجبل وفى الطرقات والأزقة وغلقها، فانقطع المدد من البشرات وهنا توقفت الحياة فى غرناطة فاشتد الغلاء وقل الطعام في الأسواق وأدركهم الجوع فكثر السؤال، وتمكن منهم الخوف من مصيرهم المجهول. (٣)

وليس ثمة دليل على دور البشرات في تلك الفترة، وما آلت إليه أحوال المسلمين في غرناطة من تلك الصورة التي يرسمها لنا المؤرخ المجهول صاحب

Harvey, L. P.: Islamic Spain1250-1500., p. 309.

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٩؛ المقري : نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص٢٦١ .

Arie, R.: El Reino Nasri, p. 103.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص٣٩؛ المقري: نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ٢٢٩–٢٣٠

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص٣٩ ؛ المقري: نفح الطيب: ج٤، ص٥٢٤–٥٢٥؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ٢٢٩–٢٣٠

الرواية الإسلامية الوحيدة بقوله ".. وما زال حال البلد يضعف ويقل من الطعام والرجال إلي أن دخل شهر المحرم من عام سبعة وتسعين وثمانمائة ودخل فصل الشتاء والثلج نازل الجبل، وقطع الطريق من البشرة فقل الطعام عند ذلك في أسواق المسلمين في غرناطة واشتد الغلاء وأدرك الجوع كثيراً من الناس وكثر السؤال..." والعدو ساكن ببلده ومحلته ولقد منع الفحص كله ومنع المسلمين من الحرث والزراعة وقطع الحرب في هذه المدة بين الفريقين فلما دخل شهر صفر من عام التاريخ اشتد الحال على الناس بالجوع وقلة الطعام وأدرك الجوع كثيرا من الناس الموسرين.." (١)

ويمكن القول أن غلق الطريق بين البشرات وغرناطة على النحو سالف الذكر عجل بموافقة المسلمين على التسليم، لذا اجتمع الجند والفقهاء والأعيان، واتفقوا على التسليم فى ٢١ محرم ٨٩٧هـ/ نوفمبر ١٤٩١م (٢)، وليس ثمة دليل على ذلك أقوى من أن المؤرخ المجهول صاحب نبذة العصر يعدد دوافع أهل غرناطة لتسليم مدينتهم ويذكر أن أهمها "... وأن الطريق الذي كانت يأتيهم عليها الطعام والفواكه من البشرة انقطعت.." (٣)

خلاصة القول، سعت البشرات حسب إمكاناتها المتاحة لعمل ما يمكن أن تقوم به حيال غيرها من المدن الإسلامية، فكانت تسعي لإنقاذها بشتى الطرق، وتجلى دورها في مساندة بلش مالقة، وبسطة، والدور الأكبر والمحورى كان في مساندة غرناطة العاصمة، وعلى الرغم من أن الكتاب قد سبق على المدن الثلاث وسجل التاريخ سقوطها في قبضة النصارى، إلا أن صفحات التاريخ ذاتها التي سجلت سقوطها، هي نفسها التي سطرت دور البشرات بحروف من نور، بوقوفها على النحو سالف الذكر مساندة غيرها من المدن .

---

(١) مجهول: نبذة العصر ٣٩– ٤٠.

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص٣٩– ٤٠؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ص٥٢٥–٥٢٦؛ شكيب أرسلان: خلاصة تاريخ الأندلس، ص ص٣٢٩–٣٣٠ .

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص٤١ .

رابعاً : انتفاضة البشرات ٨٩٥هـ/١٤٩٠م .

لم يكن غريباً على مجتمع البشرات ثورته العارمة التى اشتهرت بها بعد سقوط دولة الإسلام في الأندلس بسقوط مدينة غرناطة في عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م، وذلك في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، فقد ثاروا في عام١٥٠١م، إلا أن ثورتهم الكبرى كانت عام ١٥٦٨م .

إذ أن التمرد والثورة لا يمكن أن تكون وليدة اللحظة، وإنما كانت هذه الثورات نابعة من طبيعة المنطقة، ومن يسكنها من المسلمين الذين ذاقوا مرارة فقدان بلدانهم لصالح القوى المسيحية، وطردهم منها بعد أن كانوا ساداتها .

ويسجل تاريخ المسلمين في بلاد الأندلس انتفاضة أهل البشرات وأحوازها ضد القوى المسيحية التي تحالفت ضد المسلمين، وعلى الرغم من كونها انتفاضة لم تصل لمرحلة الثورة، إلا أنه طبقاً لمعطياتها يمكن القول بأنها كانت ثورة في شكل انتفاضة، مع أن المؤرخ المجهول صاحب نبذة العصر أطلق عليها انتفاضة وثورة بقوله".. وبدأت بوادر الانتفاضة والثورة تشتد ..." [١].

ولرصد مقدمات هذه الثورة والبحث في أسبابها فيمكن القول أن الأحداث المتلاحقة للمسلمين في بلاد الأندلس، كانت سبب مباشر في انتشار روح الغضب، واستشراء روح المحاولة الأخيرة لإنقاذ بلادهم وتاريخهم وحضارتهم من الزوال.

كان دخول السلطان الزغل في طاعة مملكة قشتالة نقطة تحول فاصلة لصالح القوى المسيحية، فهو رمز الجهاد والنضال في المملكة في تلك الفترة، والتف المسلمون حوله فى محاولة للتصدى للمد القشتالى الأراجونى الموحد للتوسع على حساب المسلمين، إلا أنه وفى ظروف غامضة أعلن دخوله فى طاعة مملكة قشتالة، ويبرر أنصاره ذلك بأنه رأى أن مالقة قد سقطت، وبعدها بسطة، وعلم أن الدور سيأتي على وادى آش، وأنه لن يتمكن من الوقوف فى وجه النصارى

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٦.

خاصة وأنه سيعتمد في حربه معهم على جنده فقط، وليس جند غرناطة،بعد أن تمكن ابن أخيه من دخول الحمراء، فخرج من وادى آش، واتجه للقاء الملك فرناندو، وعرض عليه الدخول في طاعته، وتجنب الصدام بينهما، ولم يكد يسمع الملك فرناندو بذلك حتى رجع معه إلى وادى آش، ودخلها النصارى دون قتال فى صفر سنة ٨٩٥هـ / يناير ١٤٩٠م(١).

وعن دخول الزغل وجنده في طاعة قشتالة يقول صاحب كتاب نبذة العصر:" .. ودخل في ذمته جميع فرسان الأمير محمد بن سعد وجميع قواده، وصاروا له عوناً على المسلمين وطوعوا له جميع البلاد والقرى والحصون التي كانت تحت طاعته .."(٢)

وما يهمنا هو علاقة البشرات وأحوازها بهذه الأحداث، والحقيقة أن دخول الزغل في طاعة قشتالة يعنى دخول كل ما تحت أيديه من بلاد في طاعة قشتالة، وللأسف هو ما حدث بالفعل فقد دخلت وادى آش والبشرات وأحوازهما وكل البلاد التي كان الزغل يحكمها تحت طاعة النصارى دون قتال ولا حصار، وبذلك تحولت البشرات بقراها وحصونها لطاعة الملك فرناندو والملكة إيزابيلا، وبدورهم قاموا بتعيين حكاماً من النصارى عليهم، وأوجدوا حاميات مسيحية لحمايتها، وتحول بذلك المسلمون فى البشرات ووادى آش إلى مدجنين مبكراً، ولم يعد للمسلمين فى الأندلس من بلاد سوى مدينة غرناطة العاصمة وأحوازها . (٣)

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٧؛ المقري: نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٢؛ عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسي، ص٥٥٢؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، مجلة دراسات، الأردن، مج٢، ع٢، ١٩٧٥م، ص ١٧–١٨؛ محمود مكى :تاريخ الأندلس السياسى ٩٢–٨٩٧هـ/٧١١–١٤٩٢م، ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير دكتورة سلمى الخضراء الجيوسي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٨، ص١٣٥.

Arie, R.: El Reino Nasri, pp.100–101.

(٢) مجهول: نبذة العصر ، ص٢٧.

(٣) مجهول : نبذة العصر، ص٢٧–٢٨؛ المقري : نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٢؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص١٨–١٩.

Arie, R.: El Reino Nasri, p. 102.

وحسب الاتفاق المسبق بين السلطان أبى عبد الله محمد الصغير والملك فرناندو، فإنه من الطبيعى بعد سقوط وادى آش والبشرات وأحوازهما على النحو سالف الذكر فإنه يتوجب على السلطان الغرناطى تسليم ما تحت أيديه من بلاد، وأرسل وفداً قشتالياً بهذا الطلب [١]، في صفر عام ٨٩٥هـ/ أكتوبر ١٤٨٩م، إلا فقام أبو عبد الله محمد بجمع الأعيان والكبراء والأجناد والفقهاء والخاصة وبعض العامة، وأخبرهم بطلب قشتالة، وحاول إقناعهم بأن عمه الزغل هو من أفسد الصلح بينه وبين قشتالة، وطلب رأيهم بعد أن خيرهم بين القتال أو الدحول في طاعة قشتالة، فإذ به يفاجأ بإجماع الحاضرين على الخيار الأول وهو خيار الجهاد ورفعوا شعار النصر أو الشهادة. [٢]

وبلغ ما اتفقوا عليه الملك فرناندو، فخرج فى ٨٩٥هـ/١٤٩٠ في قواته ساخطاً علي الأمير أبي عبد الله وزحف علي بسائط غرناطة وانتسفوا الزروع وساقوا الماشية وخربوا الضياع والقري، ودرات معارك دموية بينهم علي أثرها ارتحل القشتاليون في رجب ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، وعمدوا إلي تحصين بعض الحصون والمواقع القريبة من غرناطة، وشحنها بالرجال والعدد واستعدوا للمعارك القادمة[٣].

أما عن البشرات ووادى آش وأحوازهما فبعد تحولهم لطاعة النصارى، وتحول حكامهم من حكام مسلمين لتعين حكام نصارى عليهم،تملكهم الحزن وخيبة الأمل، ولم يكن هناك غير طريق واحج فقط، إنه طريق الجهاد في سبيل الله، وطرد العدو من أراضيهم، لكن من يقود حركة الجهاد هذه المرة، فالسلطان الشرعى من وجهة نظر

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص٢٨؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٢؛ عبد الحميد العبادي: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص١٩٤ .

(٢) مجهول: نبذة العصر، ص٢٩؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٨–١٩.

. Arie, R.: El Reino Nasri, p. 102

(٣) مجهول: نبذة العصر، ص ٢٩–٣٠؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٩–٢٠؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس ، ص٢٣٣.

الكثير تتملكه روح الهزيمة والاستسلام التي تمكنت منه بشكل كبير، وسيطرت على أفكاره، والسلطان الزغل الذي كان من وجهة نظرهم مجاهد في سبيل الله، سلم وادى آش والبشرات وأحوازهما لقشتالة، إلا أن الضغط الشعبي على السلطان الغرناطى بعد عودة الملك فرناندو لبلاده، بعد تخريبه لزروعهم وبلادهم، جعله يخرج بجيشه في شهر رجب سنة ٨٩٥هـ/ مايو ١٤٩٠م، وأغار على بعض البلاد القريبة من غرناطة والتي كانت قد سقطت في قبضة قشتالة ثم عاد إلى غرناطة [١].

وهنا دبت روح الثورة في جسد البلدان التي كانت قد سقطت في قبضة القوى المسيحية قبل ذلك من قرى البشرات، وليس غريباً أن تكون البشرات مهد اندلاع هذه الثورة، فتاريخها النضالى ضد القوى المسيحية مشرف منذ وقت مبكر، وسجلت بحروف من نور كما سبق ذكره مواقف مشرفة تجاه مساعدة غيرها من البلدان الإسلامية الأخرى للوقوف في وجه القوى المسيحية [٢].

وعلى إثر ذلك ولاستكمال انتفاضتهم ضد الوجود القشتالى على أراضيهم أرسلوا للسلطان أبى عبد الله محمد الصغير يعلمونه بعصيانهم لطاعة قشتالة ويطلبون منه التوجه إليهم بجيشه ليدخلوا في طاعته، ويخلعوا طاعتهم لمملكة قشتالة . [٣]

---

(١) مجهول: نبذة العصر، ص ٣٠؛ المقري : نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٣؛ عبد الحميد العبادي: المجمل فى تاريخ الأندلس، ص ص ١٩٥-١٩٦؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٩.

.Pulgar, F.: Guerra de Granada p. 443

(٢) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٠ ؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٩-٢٠.

(٣) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٠ .

أما عن أهم نتائج انتفاضة البشرات واستدعائهم السلطان الغرناطي، فقد خرج السلطان بجيشه من غرناطة متجهاً إليهم في أواخر شهر رجب سنة ٨٩٥هـ/ يونية ١٤٩٠م، وتمكن من إنزال الهزيمة ببعض حاميات الجند القشتاليين في بلدان البشرات، واتجه بجيشه إلى قرية الأنجرون Lanjoran إحدى أهم قرى البشرات، ولما اقترب منها، فر من كان بها من النصارى ومن كان بها من أعوانهم من المسلمين.(١)

وتشجعت البلدان الأخرى التابعة للبشرات والقريبة من الأنجرون، فأعلنوا عصيانهم فخرج من كان بها من النصارى خائفين من ثورة المسلمين، ومن قدوم الجيش الغرناطى إليهم، وصمد آخرون لقتال المسلمين، وتمكن المسلمون من استرداد بلدان كثيرة من البشرات، ثم عاد الجيش إلى غرناطة العاصمة بعد أن ترك حاميات من الجند تقاتل من بقى من النصارى والمرتدين.(٢)

كما تشجعت قرى وحصون آخري تابعة للبشرات، وانتفضت وأرسلوا فى شعبان سنة ٨٩٥هـ/ يوليو ١٤٩٠م، للسلطان الغرناطى ليتوجه إليهم بجيشه، لتخليصهم من حكم النصارى، فخرج بجيشه وتوجه للبشرات، وتمكن من استرداد حصن أندرش Andaras (٣) وبعض الحصون والقلاع والقرى المجاورة له، وعادت البشرات وأحوازها إلى الإسلام مرة أخرى كما كان من قبل (٤).

(١) مجهول : نبذة العصر ، ص ٣١؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣

(٢) مجهول : نبذة العصر ، ص ٣١؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٨-١٩.

(٣) مجهول : نبذة العصر ، ص ٣١؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣ ؛ عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسى ، ص٥٥٢ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

(٤) مجهول: نبذة العصر، ص ٣١-٣٢؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣ -٥٢٤؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ٢٣٤، ص٢٣٤ ؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة،ص٦١.

أما عن رد فعل الملك فرنادوا والملكة إيزابيلا على الأحداث سالفة الذكر، فقد رأى الملك أن يقود بنفسه حملة لإخضاع تلك المناطق مرة أخرى، فخرج في حملة كبيرة في شوال عام ٨٩٥هـ / يوليو ١٤٩٠م وفضل أن يتجه لتخريب أحواز غرناطة نفسها، قبل أن يتوجه إلى وداى آش والبشرات، وبالفعل خرب الزرع في غرناطة، وفى طريق عودته من غرناطة بعد تخريب زروعها مر على وادى آش، فأخرج من كان ببعض قرى وادي آش من المسلمين، الأمر الذي زاد في غضبهم بعد تفريقهم، وأرسلوا إلى السلطان الغرناطى مرة أخرى لنجدتهم، فخرج إليهم فى ١٣ ذى القعدة عام ٨٩٥هـ /٢٧ سبتمبر ١٤٩٠م لنصرتهم ،وأمر أن يتم إخلاء القرى خوفاً من عودة الملك فرناندو لتخريبها والتنكيل بهم،، فظلوا ينقلون الزرع من قري وادي آش، ويحملونه إلي غرناطة، إلا أن الملك فرناندو منحهم أماناً لعودتهم لقراهم فعادوا مرة أخرى [١].

ويتضح من العرض السابق أن البشرات صاحبة أول انتفاضة ضد القوى المسيحية لما حل بأهلها من ذل وهوان، وما كانوا قد عانوه قبل ذلك من سقوط مدنهم في أيدى الممالك المسيحية قبل هجرتهم للعيش في البشرات، ومن هنا يمكن القول أن أهل البشرات كانوا يحاولون بكل قوة التخلص من الوقوع تحت نير الدجن والعيش مهددين بقية حياتهم، أو يتم التضيق عليهم بعد ذلك للدخول في دين مملكة قشتالة، وهو ما حدث بعد ذلك بالفعل .

ويحسب أيضاً للبشرات وأحوازها أنها انتفضت ضد القوى المسيحية، وتمكنت من العودة للدولة الإسلامية مرة أخرى، ولولا دعوتهم للسلطان الغرناطى بعد انتفاضتهم لما تمكنوا من تحقيق ذلك .

(١) مجهول : نبذة العصر، ص ٣٥–٣٦؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٣–٥٢٥؛ محمد عبده حتاملة : آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ١٨–١٩.

خامساً: سقوط مدينة البشرات ٨٩٧هـ /١٤٩٢م :

ارتبط سقوط القرى والحصون التابعة للبشرات والتي لم تكن قد خضعت لمملكة قشتالة بسقوط مدينة غرناطة، فسقوط الحاضرة يعنى نهاية الدولة، وبسقوط مدينة غرناطة وتسليمها على النحو سالف الذكر، تكون فترة حكم المسلمين في بلاد الأندلس قد انتهت بعد، ولم يعد هناك بد من أن تكون الدولة والرمز السياسي قد سقط، وبلدة من البلدان لم تدخلها قوات النصارى، فعدم دخول القوات إليها لا يعنى أبداً استمرارها إسلامية الديانة في وسط هذه الأجواء، لذا كان سقوط كامل البشرات أمراً طبيعياً بعد سقوط العاصمة غرناطة، على الرغم من أنه كان بعد سقوط العاصمة غرناطة نفسها، فقد استمرت البشرات تطاحن وتثور وتساعد بكل قوتها في التصدى للقوى المسيحية الموحدة الراغبة في انتزاع البلدان الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، حتى كانت فاجعة سقوط غرناطة.

على أية حال بعد انتهاء مراسم تسليم غرناطة، ودخول الجند النصارى المدينة وسط أجواء من الفرحة والبهجة غير المسبوقة في الجانب المسيحي، وأجواء من الحزن والأسي والألم في الجانب الإسلامي، ورأى أهل البشرات ما أن القدر قد سبق على دولة الإسلام في الأندلس بنهاية مأساوية، تجمع أهل الحل والعقد بها، وأرسلوا موافقتهم على الدخول في طاعة الملك فرناندوا والملكة إيزابيلا ويسجل التاريخ أنها كانت آخر البلدان الإسلامية التي خضعت للنصارى [(١)]، وأنها ظلت حتى آخر لحظة تسعى لمساعدة إخوانها من البلدان والأقاليم خشية من سقوطها في قبضة النصارى، ويحسب لأهلها ما فعلوه مع أهل غرناطة وقت الحصار.

(١) مجهول: نبذة العصر، ص٤٢ ؛ المقري : نفح الطيب، ج٤، ص ٥٢٣-٥٢٤؛ محمد عبده حتاملة: آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، ص ٢٠؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

وعن دخول البشرات في طاعة النصارى كآخر بلدة إسلامية تسقط في قبضتهم يقول صاحب كتاب نبذة العصر "..... فلما سمع أهل البشرة أن أهل غرناطة دخلوا تحت ذمة النصارى أرسلوا بيعتهم إلى ملك النصارى ودخلوا في ذمته ولم يبق حينئذ للمسلمين موضع بالأندلس وإنا لله وإنا إليه راجعون...." (١)

أما عن آخر ذكر لدور سياسي للبشرات فبعد سقوط غرناطة على النحو سالف الذكر، جمع السلطان أبو عبد الله محمد متعلقاته من قصر الحمراء، وخرج يجر أذيال الهزيمة باكياً متأثراً مع أسرته إلى البشرات ليعيش فى المكان المخصص له فى حصن أندرش من حصون البشرات حسب شروط معاهدة التسليم(٢)، إلا أن ذلك لم يدم كثيراً ولم يتحمل السلطان ما وقع به، فقرر الرحيل إلى المغرب وعندما أشرف الركب على الشعب المطلة على منظر غرناطة، وقف السلطان ينظر للمرة الأخيرة إلى مدينة غرناطة، التي كان حتى الأمس القريب سلطانها، حزن حزناً شديداً، وانهمر في البكاء، فصاحت به أمه" ابك كالنساء ملكا لم تحافظ عليه كالرجال". ويعرف هذا الموضع حتى الآن باسم" زفرة العربى الأخيرة " Elultimo sospiro de Moro، وتعتبر من أهم المناطق السياحية فى تلك المناطق(٣) وغادر الأندلس إلى بلاد المغرب فى شوال سنة ٨٩٨هـ/ أغسطس ١٤٩٣م، ونزل أولاً فى مليلة ثم قصد إلى فاس فاستقر بها(٤)

---

(١) مجهول : نبذة العصر، ص٤٢.

(٢) مجهول : نبذة العصر ، ص ٤٣؛ المقري : نفح الطيب ، ج٤، ص ٥٢٥ –٥٢٦ ؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص ٢٣٤–٢٣٥؛ Arie, R.: El Reino Nasri, p. 109.

(٣) مجهول : نبذة العصر ، ص٤٣؛ المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص ص٥٢٧؛ مونتغمرى وات : فى تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص١٥٩.

(٤) مجهول : نبذة العصر ، ص٤٣؛ المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص ص٥٢٧– ٥٢٩ ؛ ٤٤ ؛ مانويل جاسبار رميرو :رحيل أبى عبد الله مع أسرته وكبار أتباعه من الأندلس –ضمن فصول فى تاريخ الأندلس، بداية النهاية،

وبرحيل السلطان الغرناطي عن البشرات، تغلق صفحات تاريخها السياسي فى عصرها الإسلامى، لتبدأ ملحمة بطولية جديدة فى التاريخ الحديث، تلك الملحمة التى بدأت بعد سقوط غرناطة بوقت قصير، وبعد أن هدأت الأمور، وجمعوا قواهم، وفى المقابل نقض الجانب المسيحى كل عهوده، بل مارسوا أشكال العنف والقهر ضد المسلمين، وهنا لم يجد المسلمون من أهل البشرات غير طريق الثورة، فاندلعت فى عام٩٠٤هـ / ١٤٩٩م .

ترجمة د . عبد الفتاح عوض، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص٢٥٢ –٢٦٧؛ عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، ص٦١.

الخاتمة

توصلت من خلال دراسة موضوع مدينة البشرات وما كان لها من دور سياسي فى الربع الأخير من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى لعدد من النتائج المهمة على رأسها أن هذه المدينة لم تحظ باهتمام وكتابات المؤرخين قدامى ومحدثين كغيرها من المدن الأندلسية، ربما لكونها كانت عبارة عن مناطق جبلية وعرة، ولما كانت دولة الإسلام في الأندلس تضم الكثير من المدن والمساحات الواسعة لم تزدحم هذه المناطق بالسكان والعمران، أو لكونها كانت تابعة لوادى آش فتناولوا الأحداث التي تتعلق بتاريخ وادى آش وغرناطة وأغفلوا البشرات لعدم وجود دور سياسي أو اقتصادي قوى مثل باقي المدن الأندلسية مثل غرناطة والمرية ومالقة ووادى آش والجزيرة الخضراء والمنكب وغيرها من المدن الأندلسية ذات التاريخ العريق السياسي والحضاري على السواء .

كما اتضح أن البداية الحقيقية لبداية ظهور مدينة البشرات وأحوازها على مسرح الأحداث السياسية كان في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ومن المؤكد أن السبب في ذلك هو كثرة هجرات المسلمين الذين سقطت مدنهم في قبضة القوى المسيحية إليها، فلم يجدوا ملاذاً آمناً أكثر منها، كما أن أغلب المدن في جنوب الأندلس وعلى رأسها غرناطة العاصمة كانت تعج بالسكان، وازدادت أعدادهم لدرجة باتت تشكل تهديداً لتوفير الاحتياجات لهم، فلم يعد أمامهم سوى المناطق غير الآهلة ومنها منطقة البشرات وأحوازها، وأهم ما كان يميزها قربها من وادى آش ومن غرناطة العاصمة، ولكونها منطقة جبلية وعرة مجصنة طبيعياً كما يسهل بناء الحصون على مرتفاعاتها رفع أسهمها عند المهاجرين إليها.

كانت طبيعة سكان البشرات في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي هي الإيجابية تجاه أحداث دولة المسلمين في بلاد الأندلس،

وإحساس أهلها بأن كيان الدولة الإسلامية كيان واحد، لا يمكن تجزأته، يدلل على ذلك موقف أهلها من الأحداث الجارية في تلك الفترة، فلم يقفوا متفرجين أمام مهادنة السلطان أبى عبد الله الصغير لقشتالة وخضوعه لها، ورغبته في إقرار الصلح والتبعية في كل أقاليم الأندلس في تلك الفترة، بل أخذتهم الحمية وشاركوا في الحرب الأهلية في غرناطة بمساندة السلطان الشرعي من وجهة نظرهم، ضد ابن أخيه الخارج عليه، المهادن للنصارى، وشكلوا مع أهل وادى آش القوة الحقيقية الضاربة التي استند إليها الزغل في تلك الفترة سواء في حربه ضد ابن أخيه أم فى حربه ضد النصارى.

كما تجلى الدور الإيجابي والإحساس بالمسئولية الحقيقية تجاه المدن الإسلامية في أبهى صوره في مساندتهم لإخوانهم من سكان المدن الاندلسية الأخرى قبيل سقوطها في قبضة النصارى، لأنهم ذاقوا الفرقة والذل والهوان على أيدى القوات المسيحية من قبل غداة سقوط مدن أغلبهم، ومن هنا تجسدت فبهم روح المقاومة، وروح المساندة لإخوانهم، وهو ما ظهر جلياً فى التوجه بأعداد غفيرة لإنقاذ مدينة بلش مالقة فى عام ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م، ومساندتهم بكل قوة لأهل مدينة بسطة والدخول فى معارك عديدة من قوات الملك فرناندو المحاصرة لها في عام ٨٩٤هـ / ١٤٨٩م، وتجسد الدور الأكبر والمحوري في فترة حصار مدينة غرناطة عاصمة دولة بني الأحمر آخر كيان إسلامي في بلاد الأندلس، ولعبت دوراً بطولياً في مساندتها، وظلت لآخر لحظة تعمل على أمل إنقاذها من السقوط.

وللمعطيات السابقة ليس غريباً أن تكون البشرات صاحبة أول تمرد ضد القوات القشتالية وضد حكامها من النصارى بعد استيلاء الملك فرناندو عليها وعلى وادى آش عقب دخول السلطان أبو عبد الله الزغل في طاعته في عام ٨٩٥هـ/ ١٤٩٠م، فأرسلت للسلطان أبى عبد الله الصغير في غرناطة ليتوجه إليها لإنقاذها من قبضة النصارى، بصفته السلطان الوحيد والشرعي لغرناطة بعد دخول عمه في طاعة

قشتالة، وكانت انتفاضتهم السبب في رجوعهم مرة أخرى لتبعية الدولة الإسلامية في الأندلس وفرار حكامهم النصارى أما غضبهم، وقامت بلاد أخرى قريبة من البشرات بنفس العمل، فعادت إسلامية مرة أخرى.

وتشير كل المعطيات السابقة أيضاً إلى نتيجة حتمية ومتوقعة وهى أن البشرات وأحوازها كانت آخر بلاد إسلامية سقطت في قبضة القوى المسيحية، ودانت بغير دين الإسلام، ذلك أنها سقطت بعد سقوط العاصمة غرناطة وتسليمها للملك فرناندو والملكة إيزابيلا، فلما رأى أهل البشرات ما دار على المسلمين في غرناطة وما آل إليه مصيرهم، كتبوا إلى الملك فرناندو بالدخول في طاعته، لن ذلك أضحى مصير محتوم لا جدال فيه .

وفى النهاية وإن كان التاريخ السياسي لمدينة البشرات في العصر الحديث مع مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي قد سطر بحروف من نور في قيامها بأعظم ثورات المسلمين في بلاد الأندلس بعد سقوطها في قبضة القوى المسيحية في ثورتهم العارمة عام ٩٠٤هـ/١٤٩٩م، وثورتهم الباسلة ومحاولتهم العودة بالحكم الإسلامي لبلاد الأندلس في عام ١٥٦٨م في ثورة البشرات العظيمة ضد الظلم والاستبداد والتفرقة العنصرية والدينية من ملوك إسبانيا ضدهم، إلا أن هذا البحث يثبت بما تم رصده من مواقف مشرفة سطرها أهل البشرات قبيل سقوط دولة الإسلام في بلاد الأندلس نهائياً وبخاصة في الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي أن أهل البشرات كان تاريخهم في فترة الحكم الإسلامي تاريخاً مشرفاً هو الآخر، وتستحق وبجدارة لقب المدينة المناضلة في فترة الحكم الإسلامي بما قدمته للمدن الإسلامية من مساعدة، والمدينة الباسلة في التاريخ الحديث بوقوفها ضد اضطهاد ملوك إسبانيا للمسلمين وإجبارهم على ترك دينهم والتخلي عن تراثهم الحضاري.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٨م)

– تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٦٤م .

الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت أواخر ق٩هـ/١٥م)

–الروض المعطار في خبر الأقطار –تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن الخطيب : أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م)

- الإحاطة فى أخبار غرناطة –تحقيق عبد الله عنان، مكتبة الخانجى،القاهرة، ١٩٧٤م

- اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية، تحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٩م.

الزهرى: أبو عبد الله محمد (ت فى أواسط ق٦هـ/ ١٢م)

- كتاب الجغرافية –تحقيق محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت

ابن سعيد المغرب : أبو الحسن على بن موسى محمد بن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

- المُغرب في حُلي المَغرب، تحقيق شوقي ضيف ،دار المعارف، القاهرة ، ٢٠٠٩م

ابن عذارى: أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً عام ٧١٢هـ/١٣١٢م) .

- البيان المغرب فى اختصار ملوك الأندلس والمغرب- تحقيق اميروس هويثى ميرانده، محمد بن تاويت، الرباط، ١٩٦٢..

مجهول :

– نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر (تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلي المغرب)، تحقيق ، الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٢م.

المراكشى: عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٧م)

– المعجب فى تلخيص أخبار المغرب –تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج١، ج٤، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت،١٩٦٨.

ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

- **أحمد محمد الطوخي**: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، ١٩٩٧م.

– **أحمد مختار العبادى:** دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٨م.

– **أسعد حومد :** محنة العرب فى الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،، بيروت،١٩٨٨م.

- **ج.س. كولان :** الأندلس الأندلس –ترجمة لجنة دائرة المعرف الإسلامية (إبراهيم خورشيد وآخرون)، القاهرة، ١٩٨٠م.

- **جمعة شيحة** : صدى سقوط غرناطة في الشعر الأندلسى - الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة - تونس ، ١٩٩٣

- **سحر السيد عبد العزيز سالم**: بنو سراج وزراء بنى نصر بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية - ضمن بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

- **شكيب أرسلان** :

- خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، دار كلمات ، القاهرة ، د.ت

صبحى عبد المجيد إدريس: عصر الخليقة الناصر الموحدى فى المغرب والأندلس– رسالة دكتوراة، آداب طنطا، ١٩٩٩م.

- **عبد الحميد العبادى:** المجمل فى تاريخ الأندلس، القاهرة، ١٩٥٨م،.

عبد الرحمن على الحجى: التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٦م.

عبد العزيز بن عبدالله : الأندلس فى أيامها الأخيرة فى غرناطة، مجلة الأكاديمية، المغرب، ع ٢٤، ٢٠٠٧م

عبد الواحد ذنون طه :

–تحالف الممالك الإسبانية فى الأندلس وأثره على سقوط غرناطة، مجلة البحث العلمى، المغرب، ع ٣٤، ١٩٨٤م .

– حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار المدار الإسلامي ، بيروت،٢٠٠٤م.

- **مانويل جاسبار رميرو** : رحيل أبى عبد الله مع أسرته وكبار أتباعه من الأندلس – ضمن فصول فى تاريخ الأندلس، بداية النهاية، ترجمة د . عبد الفتاح عوض، القاهرة، ٢٠٠١.

محمد عبد الله عنان:

– أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة،مجلة أدب ونقد، القاهرة، عدد ٨٨، مجلد ٩، ديسمبر ١٩٩٢م

– نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،، ١٩٩٧م.

محمد عبده حتاملة :

– آل أبى الحسن على بعد سقوط غرناطة، مجلة دراسات، الأردن، مج٢، ع٢، ١٩٧٥م

– محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وما بعدها، دار الشعب، عمان، الأردن، ١٩٧٧م
محمود مكي: تاريخ الأندلس السياسي ٩٢–٨٩٧هـ /٧١١–١٤٩٢م، ضمن موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، تحرير د. سلمى الخضراء الجيوسي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٨.
-**مرثيديس غارثيا أرينال** : شتات أهل الأندلس (المهاجرون الأندلسيون)– ترجمة محمود فكرى عبد السميع، القاهرة،٢٠٠٦م.
مونتغمرى وات: فى تاريخ أسبانيا الإسلامية، ترجمة د. محمد رضا المصرى –لبنان، ١٩٩٥م.
– **يوسف أشباخ:** تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين – ترجمة محمد عبد الله عنان،القاهرة، ١٩٤٠م
- **يوسف شكرى فرحات** : غرناطة في ظل بني الأحمر، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٨٢م .

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية :

– **Canning, J.**:100 Great Kings, Queens and Rulers of the worled– New York,1988.
- **Jose Conde** : History of dominion of the Arabs in Spain ,London ,1954.
- **L.P. Harvey**: Islamic Spain1250-1500-London, 1990
- **Luis Seco de Lucena**: La Sultana Madre de Boabdil- (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. VII, 1947).
-**Pulgar:** (Fernando): Guerra de Granada – en Colecion de Cronicas Espanolas, edicion de Juan de Mata Carriazo, Madrid, 1940.
-**Rachel Arie**, :El Reino Nasri de Granada (1232-1492) – Madrid, 1992
- **Simonet**: (Francisco Jovier):Descripcion de Reino de Granada Bajo La Dominacion de los Naseritas – Madrid, 1860.